وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الانسانية

المرحلة الثالثة

المحاضرة العاشرة

م/ بديع الزَّمان الهمذاني

المادة: النثر العباسي

استاذ المادة: م.د. سفيان عبدالواحد خلف

2024 م ---------- 2025 م

من هو بديع الزمان الهمذاني ؟

هو أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد ويعرف ببديع الزّمان، ولا نعرف كيف نال هذا اللقب وربَّما يكون من صنعه أو صنع أبي منصور الثعالبي الذي عاصره وترجم له فقال: ((هو أحمد بن الحسين بديع الزمان ومعجزة همذان)).

ولد في همذان في الثالث عشر من جمادى الآخرة سنة 358 للهجرة من أسرة يصل نسبها إلى بني مضر وقد صرح بذلك فقال: إني عبد الشيخ واسمي أحمد وهمذان المولد وتغلب المورد ومضر المحتد)) .

ولم يكتف بذكر نسبه العربي بل إنتصر للعرب في كتاباته، وقد نشأ فيه همذان وتعلم فيها القراءة والكتابة وكان اخوه محمد بن الحسين مفتي البلدة وتتلمذ على العلماء والأدباء منهم أبو الحسين أحمد بن فارس الأديب الكبير واللغوي المشهور صاحب " المجمل في اللغة ".

خرج بديع الزمان من همذان سنة 380 للهجرة طلبا للمال والجاه والشهرة، فقصد الصاحب بن عباد وبقي عنده زمناً في بلدته المشهورة بجمال الطبيعة وبعد تزوده بثمار الصاحب بن عباد وحسن آثاره إرتحل إلى جرجان وأقام بها مدة على مداخلة الإسماعيلية والتعيش في اكنافهم ثم تركها إلى نيسابور ثم انتقل بعدها إلى سجستان حيث لقي حفاوة من أميرها وأهدى إليه مقاماته ومدحه بقصيدة شعرية.

وكان البديع يحب السفر ويرغب في الارتحال حتى وافته المنية سنة 398 الهجرة وهو في الأربعين من عمره.

آثاره ومؤلفاته:

كان بديع الزمان شاعرا وناثراً على السواء وقد ترك لنا الآثار الآتية:

أولاً: ديوان شعره وهو مطبوع والقارئ فيه يجده لا يتخلى كما هو الحال في نثره عن الجناس والسجع والازدواج والمعميات والاحاجي .

ثانياً: رسائله، وهي مطبوعة تناول فيها موضوعات كثيرة من مدح وهجاء وعتاب واعتذار وعزاء وشكوى وتهنئة ووصف واستعطاف .

ثالثاً: مقاماته، وهي مطبوعة وعددها اثنتان وخمسون مقامة.

نثره وأسلوبه:

جاء بديع الزمان ووجد أمامه الصنعة قد قطعت شوطا كبيرا في ميدان النثر العربي على يد كتب كبار أمثال: ابن العميد والصاحب بن عباد وأبي بكر الخوارزمي فسار على خطاهم وأبدى جدارة فائقة وقدرة عالية في هذه الصنعة بحيث فاقهم في الشهرة ولا سيما في مقاماته.

لقد تسرَّبت الصنعة إلى نثره وتجاوزت أحيانا الحد المعقول في التزام السجع والتشبيهات والاستعارات والكنايات والمحسنات اللفظية والمعنوية والرمز التلميح والإشارات والميل إلى التصعيب والتحقيق ومع هذا نجد له رسائل تتسم بلغة واضحة ذات ألفاظ موسيقية عذبه لها واقع حسن في الأذن.

وممَّا يلحظ في نثره كثرة الاستشهاد بالآيات القرآنية والأمثال والحكم والابيات الشعرية من نظمه او من نظم غيره. وأحيانا يم في هذا الاستشهاد كما نرى في رسالته إلى أبي جعفر الميكالي التي ضمنها 36 بيتاً

من الشعر الوقت الذي لم تتعد الرسالة بضعة وعشرين سطراً وإلى جانب الشعر في هذه الرسالة نجد حكماً وأمثالاً .

واشتهرت مقاماته أكثر من رسائله وهي قائمة على الكدية باستثناء ثلاثة عشر مقامة تناول فيها أغراضاً شتى في المديح والوصف والنقد والادب والالغاز والوعظ والحجاج في المذهب واحوال الزمان والفكاهة.

وألمقامات أرحب من رسائله معنى والطف مبنى واخف صنعة، وأكثر فكاهة واوفر مرحاً واضحاكاً .

تقوم أحداث المقامات على كاهل رجلين ابتدعهما بديع الزمان: الأول: الراوي عيسى بن هشام، والثاني: البطل المغامر أبو الفتح إلإسكندري، وأحيانا يغفل عن هذا البطل كما هو الحال في المقامات الثلاث: البغدادية والنهيدية والغيلانية.

إنَّ اسلوب بديع الزمان في مقاماته مسجوع ومنمَّق يعتمد على الصنعة، إذ نراه يتكيء على التشبيهات والاستعارات والكنايات وضروب المحسنات البديعية لا سيما الجناس والطباق ويكثر من الجمل الاعتراضية والترادف في اللغة للمعنى الواحد والاستشهاد بالشعر، فلا تخلو من أبيات لا تقل عن بيتين من نظمه أو من نظم الشعراء الاقدمين وكذلك الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف.

وتجدر الإشارة في نهاية هذه المحاضرة الموجزة لسيرة بديع الزمان ونثره إلى أن الباحثين جميعا أثنوا على مقاماته واشادوا بمكانتها بين الفنون النثرية التي وصلت إلينا ما عدا محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا المتوفى سنة 709 للهجرة من القدامى، والدكتور محمد مهدي البصير من المحدثين .

قــال ابــن الطقطقــا: ((المقامــات لا يســتفاد منهــا ســوى التمــرن علــى الإنشــاء والوقــوف علــى مــذاهب الــنظم والنثــر ... الــخ))، أمَّــا الــدكتور محمد مهــدي البصــير فيقــول: ((أمــا مقامــات الهمــذاني فإنهــا جنايــة لا تغتفــر علــى الأدب العربي ذلك أنه خلق فيها أدب الشحاذة خلقا وانشأه انشاءً ... الخ)).

وقـد كفانـا الـدكتور محسـن غيـاض بـالرد علـى هـذين القـولين حيـث قـال: ((ونحـن نعتقـد أنّ ابـن الطقطقـا والمرحـوم الدكتورالبصـير تطرفـا فـي مهاجمـة المقامــات تطرفــاً لا مبــرر لــه، فهــي دون شــك صــدى لظــاهرة الكديــة فــي عصــره، ولا نــرى فيهــا مــا يصــغّر الهمــة ويشــجع علــى التســول، والإنســان لا يكـون متسـولاً إذا قـرأ أدب التسـول وانمـا هـو امـر تضـطره إليـه ظـروف الحيـاة وفقـدان العدالــة الاجتماعيــة ولــو كــان الأمــر كــذلك لأصــبح كــل مــن قــرأ ادب المجـون ماجنـاً وكـل مـن قـرأ شـعر الزهـد زاهـدا ولـيس الأمـر كـذلك يقينـاً... الخ)).